بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَوسُوعةُ البَراهِينِ والمُعجِزات

دلائلُ نبوّةِ محمّدٍ ﷺ وصِدقِ القُرآنِ الكريم

مُعجِزاتٌ عِلميّة · شواهدُ تاريخيّةٌ وأثَريّة · نُبوءاتٌ تَحقَّقَت

بِشاراتُ التّوراةِ والإنجيل · عالَمُ الجِنِّ والسِّحرِ والغَيب

مَشروحةٌ شَرحاً يَفهَمُه الطِّفل · ١٥١ رَسماً مُلوَّناً

١٥١ بُرهاناً مُرتَّباً بقُوَّتِه

الباب السّابع

مُعجزاتُ النّبيِّ ﷺ الحِسّيّة

ما رآه أصحابُه بأعينِهم فنقلوه لنا بأسانيدَ متّصلة: الماءُ ينبعُ من أصابعه، والجِذعُ يبكي شوقاً إليه، والقمرُ ينشقُّ فوقَ مكّة.

١٦ موضوعاً

١٠٦ انشَقَّ القَمَرُ فَوقَ مكّة

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ

سورة القَمَر – الآيتان ١-٢

حَدَثٌ رآه أهلُ مكّةَ جَميعاً – مُؤمِنُهم وكافِرُهم

بكلامٍ بسيط

انشَقَّ القَمَرُ في السَّماءِ نِصفَين، حتّى رأى النّاسُ جَبَلَ حِراءٍ بينهما. ولم يُنكِر المُشرِكونَ أنّهم رأوا – بل قالوا: **«سَحَرَنا محمّد»**.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت قُرَيشٌ تُطالِبُ النَّبيَّ ﷺ بآيةٍ حِسّيّةٍ تُثبِتُ صِدقَه. فلمّا وَقَعَت، لم يَقولوا «لم نَرَ شَيئاً» – وهو أسهَلُ رَدٍّ وأسلَمُه – بل فَسَّروا ما رأوه بالسِّحر. **وهذا في نَفسِه إقرارٌ بالمُشاهَدة.**

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الآيةُ نَزَلَت بصيغةِ **الماضي المُحَقَّق**: «انشَقَّ القَمَر» – لا «سيَنشَقّ». وحَديثُ الانشِقاقِ مَرويٌّ في **صحيحِ البُخاريِّ ومُسلِمٍ** من طُرُقٍ مُتَعَدِّدةٍ عن جَماعةٍ من الصَّحابة: ابنِ مَسعود، وأنَسٍ، وابنِ عبّاس، وجُبَيرِ بنِ مُطعِم، وعَليّ. ورِواياتُهم مُتَّفِقةٌ على الوَصف: «حتّى رَأَوا الجَبَلَ بين فِلقَتَي القَمَر». وقد بَلَغَ الخَبَرُ حَدَّ التَّواتُرِ عند أئمّةِ الحَديث.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الدَّليلُ هنا ليس في الحَدَثِ وَحدَه، بل في **رَدِّ فِعلِ الخُصوم**. فالآيةُ تُلي عليهم في مكّةَ وهم أحياء، تُقَرِّرُ أنّ القَمَرَ قدِ انشَقَّ أمامَ أعيُنِهم. ولو لم يَقَع لكان أيسَرَ شَيءٍ عليهم أن يَقولوا: «مَتى؟ لم نَرَ». وهم أحرَصُ النّاسِ على تَكذيبِه، ولم يَتَوَرَّعوا عن اتِّهامِه بالشِّعرِ والسِّحرِ والجُنون. لكنّهم **اختاروا التَّفسيرَ لا الإنكار** – وهذا أقوى شاهِدٍ مُمكِن. والآيةُ نَفسُها سَجَّلَت رَدَّهم: «**ويَقولوا سِحرٌ مُستَمِرّ**» – فوَثَّقَت الحُجّةَ وجَوابَها معاً.

١٠٧ الماءُ يَنبُعُ من بينِ أصابِعِه

فَوَضَعَ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا. قِيلَ لِأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: زُهَاءَ الثَّلَاثِ مِائَةٍ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

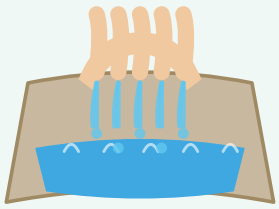

لم يَنبُع من الإناء... بل من بينِ الأصابِع

نَحوُ ثَلاثِمِئةِ رَجُلٍ شَرِبوا وتَوَضَّؤوا من إناءٍ واحد

مَشهَدٌ رواه أنَسُ بنُ مالِكٍ وجابِرٌ وابنُ مَسعودٍ وغيرُهم

بكلامٍ بسيط

نَفِدَ الماءُ والنّاسُ عِطاش. فوَضَعَ النَّبيُّ ﷺ يَدَه في إناءٍ صَغير، **فتَفَجَّرَ الماءُ من بين أصابِعِه كالعُيون**، حتّى شَرِبَ الجَيشُ كلُّه وتَوَضّأ.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يَكُن في ذلك المَوقِفِ بِئرٌ ولا مَطَر. والماءُ في الصَّحراءِ مَسألةُ حَياةٍ أو مَوت. ومِئاتٌ من النّاسِ يَحتاجونَ الماءَ في وَقتٍ واحد. والإناءُ الصَّغيرُ لا يَكفي رَجُلاً واحداً لو أُريدَ به الوُضوءُ والشُّرب.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الحادِثةُ مَرويّةٌ في **الصَّحيحَين** عن أنَسِ بنِ مالِكٍ وجابِرِ بنِ عبدِ اللهِ وعبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ وغيرِهم، في مَواطِنَ مُختَلِفة – الحُدَيبِيَةِ وتَبوكَ وغيرِهما. وقد وَقَعَت أكثَرَ من مَرّة، وشَهِدَها الآلاف. وابنُ مَسعودٍ يَقول: «كُنّا نَعُدُّ الآياتِ بَرَكَةً، وأنتم تَعُدُّونها تَخويفاً. كُنّا مع رَسولِ اللهِ ﷺ في سَفَر، فقَلَّ الماء، فقال: اطلُبوا فَضلةً من ماء...».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التَّفصيلُ الفارِقُ هو مَوضِعُ النَّبْع: «**من بينِ أصابِعِه**» لا من الإناء. ولو أُريدَ اختِلاقُ خَبَرٍ لكان الأقرَبُ أن يُقالَ إنّ الإناءَ امتَلَأ – فهذا أبسَط. أمّا نُبوعُ الماءِ من بين أصابِعِ يَدٍ بَشَريّةٍ فوَصفٌ غَريبٌ دَقيقٌ لا يُقالُ إلّا عن مُشاهَدة. والأهَمُّ هو **شُهودُ العَدَد**: «زُهاءَ الثَّلاثِمِئة» في رِوايةِ أنَس، وألفٌ وأربَعُمِئةٍ في رِوايةِ جابِرٍ يومَ الحُدَيبِيَة. خَبَرٌ يَشهَدُه هذا العَدَدُ ثمّ يُروى ويُدَوَّنُ ولا يُنكِرُه واحِدٌ منهم، لا يُمكِنُ أن يَكونَ قد اختُلِقَ بعدَهم.

١٠٨

صاعٌ من شَعيرٍ أشبَعَ ألفاً

جِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ... فَقَالَ: ادْعُ أَهْلَ الْخَنْدَقِ. وَهُمْ أَلْفٌ ... فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

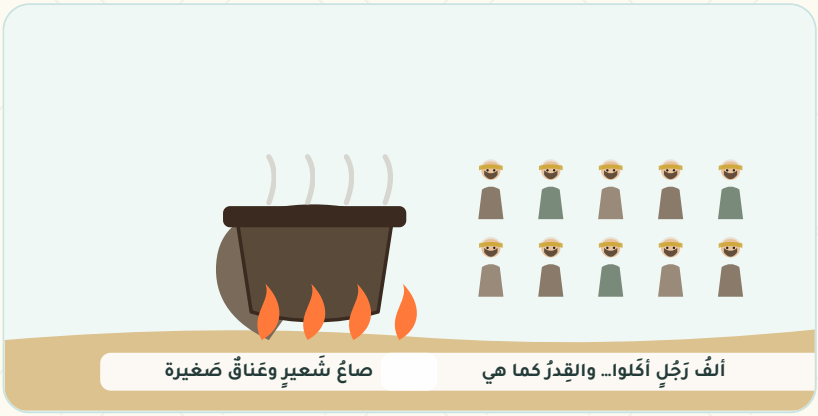

يومَ الخَندَقِ – والنّاسُ يَربِطونَ الحِجارةَ على بُطونِهم من الجُوع

بكلامٍ بسيط

دَعا جابِرٌ النَّبيَّ ﷺ إلى طَعامٍ قَليلٍ يَكفي بِضعةَ أشخاص، فدَعا النَّبيُّ ﷺ ألفَ رَجُلٍ من حافِري الخَندَق. **فأكَلوا كلُّهم حتّى شَبِعوا، والقِدرُ ما زالت مُمتَلِئة.**

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان ذلك في أشَدِّ أيّامِ الحِصار. والمُسلِمونَ جائعون، حتّى شَدَّ النَّبيُّ ﷺ على بَطنِه حَجَراً من الجُوع. والطَّعامُ صاعٌ من شَعيرٍ وعَناقٌ صَغيرة – لا يَكفي إلّا بَيتاً واحداً. وقد اعتَذَرَ جابِرٌ سِرّاً لامرأتِه ممّا فَعَل.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

الحَديثُ بطولِه في **صحيحِ البُخاريّ**، يَرويه جابِرُ بنُ عبدِ اللهِ عن نَفسِه ومَوقِفِه، بتَفاصيلَ بَيتيّةٍ دَقيقة: حِوارُه مع امرأتِه، وخَوفُه من الفَضيحة، ونَهيُ النَّبيِّ ﷺ عن إنزالِ القِدرِ عن النّار، وأمرُه بأن يُغرَفَ ولا يُكشَف. ويُقسِمُ جابِرٌ في آخِرِه: «فأقسَمَ باللهِ لقد أكَلوا حتّى تَرَكوه وانصَرَفوا، **وإنّ بُرمَتَنا لَتَغِطُّ كما هي**» – أي ما زالت تَغلي مُمتَلِئة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

مِثلُ هذه الحادِثةِ لا تُختَلَق، لأنّها وَقَعَت أمامَ **ألفِ شاهِد** في مَكانٍ واحدٍ ووَقتٍ واحد. ولو كانت كَذِباً لكانَ في الجَيشِ مِئاتٌ يُكَذِّبونَها، وفيهم مُنافِقونَ يَتَرَبَّصون. والأدَقُّ من ذلك أنّ الرّاويَ يَحكي عن **حَرَجِه الشَّخصيّ** وخَوفِه من قِلّةِ الطَّعام – وهذا تَفصيلٌ لا يُضيفُه مُختَلِقٌ يُريدُ تَعظيمَ نَفسِه. ونَظائرُ هذه الحادِثةِ كَثيرةٌ في الصِّحاح: طَعامُ تَبوك، وتَمرُ ابنِ الجَراح، ودَينُ أبي جابِرٍ الذي قُضِيَ من تَمرٍ لا يَكفي عُشرَه.

١٠٩ الجِذعُ الذي حَنَّ إليه

كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا. فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ ... سَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ

رواه البُخاريّ – صحيح

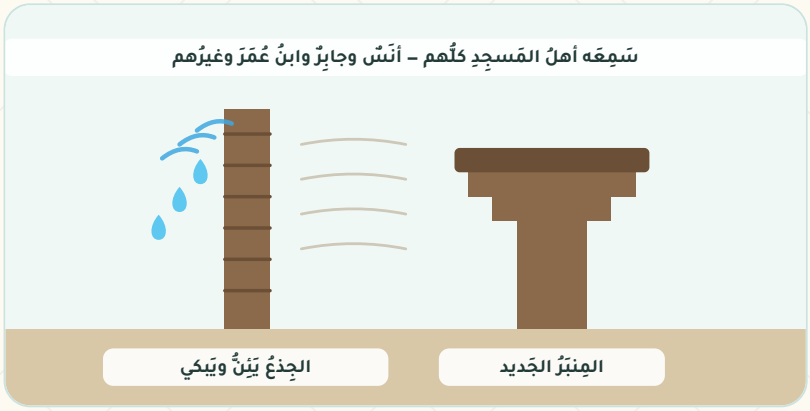

جِذعُ نَخلةٍ أنَّ أنينَ النّاقةِ التي فُقِدَ وَلَدُها

بكلامٍ بسيط

كان النَّبيُّ ﷺ يَخطُبُ مُستَنِداً إلى جِذعِ نَخلة. فلمّا صُنِعَ له مِنبَر، **بَكى الجِذعُ وأنَّ** حتّى سَمِعَه كلُّ من في المَسجِد – فنَزَلَ ﷺ واحتَضَنَه فسَكَن.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الجِذعُ خَشَبةٌ جافّةٌ لا حِسَّ فيها. وأن يُصدِرَ صَوتاً مَسموعاً كصَوتِ النّاقةِ التي فارَقَها وَلَدُها، أمرٌ لا يُقاسُ على شَيء. والمَسجِدُ يومَئذٍ مَملوءٌ بالنّاسِ في يومِ جُمُعة.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

الحَديثُ في **صحيحِ البُخاريّ** وغيرِه، ومَرويٌّ عن جَماعةٍ من الصَّحابةِ من طُرُقٍ كَثيرة: جابِرِ بنِ عبدِ الله، وأنَسِ بنِ مالِك، وعبدِ اللهِ بنِ عُمَر، وأُبَيِّ بنِ كَعبٍ، وسَهلِ بنِ سَعدٍ، وبُرَيدةَ وغيرِهم – حتّى عَدَّه أهلُ العِلمِ من **المُتَواتِر**. قال الحَسَنُ البَصريُّ حين حَدَّثَ به: «يا مَعشَرَ المُسلِمين! الخَشَبةُ تَحِنُّ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ شَوقاً إليه، فأنتم أحَقُّ أن تَشتاقوا إليه».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

مَوضِعُ الحُجّةِ أنّ هذا وَقَعَ في **مَسجِدِ المدينةِ يومَ الجُمُعة**، أي أمامَ أكبَرِ تَجَمُّعٍ أُسبوعيٍّ في المدينة، لا في خَلوةٍ ولا أمامَ نَفَرٍ قَليل. وقد رواه عَدَدٌ كَبيرٌ من الصَّحابةِ كلٌّ بلَفظِه، ووَصَفوا الصَّوتَ وَصفاً مُتَقارِباً – «كصَوتِ العِشار» أي النّاقةِ الحامِل. والتَّفصيلُ الأخيرُ هو ما يَرفَعُ الخَبَرَ عن الخَيال: أنّه **سَكَنَ حين وَضَعَ يَدَه عليه**. وفي رِوايةٍ أنّه قال: «لو لم أُلتَزِمْه لَحَنَّ إلى يومِ القِيامة». خَبَرٌ يَشهَدُه مَسجِدٌ كامِلٌ ثمّ يَرويه عَشَراتُ الصَّحابةِ ولا يُنكِرُه أحدٌ ممّن حَضَر.

١١٠

وَصَفَ بيتَ المَقدِسِ ولم يَرَه قَطّ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

سورة الإسراء – الآية ١

أخبَرَ قُرَيشاً في الصَّباح، فسَألوه عن وَصفِ المَسجِدِ بابًا بابًا

بكلامٍ بسيط

أُسرِيَ بالنَّبيِّ ﷺ من مكّةَ إلى بيتِ المَقدِسِ في لَيلة. فلمّا أخبَرَ قُرَيشاً كَذَّبوه، **وسَألوه أن يَصِفَ المَسجِدَ** – وفيهم من رآه. فوَصَفَه لهم حتّى قالوا: «أمّا النَّعتُ فقد أصاب».

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

المَسافةُ بين مكّةَ وبيتِ المَقدِسِ نحوُ ١٢٠٠ كيلومتر، تَقطَعُها القافِلةُ في شَهرٍ ذَهاباً ومِثلِه إياباً. والنَّبيُّ ﷺ **لم يَكُن قد رأى بيتَ المَقدِسِ في حَياتِه قَطّ**. وفي مكّةَ تُجّارٌ كَثيرونَ زاروا الشّامَ ورَأَوا المَسجِدَ وعَرَفوا مَعالِمَه. فكان التَّحَدّي في أخطَرِ صُوَرِه: **وَصفُ مَكانٍ يَعرِفُه خُصومُك ولا تَعرِفُه أنت**.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الحادِثةُ في **الصَّحيحَين** وغيرِهما. روى البُخاريُّ ومُسلِمٌ عن جابِرٍ رَضيَ اللّهُ عنه أنّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لمّا كَذَّبَتني قُرَيشٌ قُمتُ في الحِجر، فجَلَّى اللّهُ لي بيتَ المَقدِس، **فطَفِقتُ أُخبِرُهم عن آياتِه وأنا أنظُرُ إليه**». وفي رِوايةٍ أنّهم سألوه عن عَدَدِ أبوابِه فعَدَّها لهم. ثمّ أخبَرَهم عن عِيرٍ لهم في الطَّريق ووَصَفَها ومَوعِدَ قُدومِها – فجاءت كما قال.

لماذا هذا معجزةٌ قاطعة؟

هذا اختِبارٌ **فَوريٌّ ومُباشِرٌ وقابِلٌ للتَّكذيب** في مَجلِسٍ واحد. لم يُطلَب منه أن يَصِفَ شَيئاً غائباً لا يُعرَف، بل مَكاناً **يَعرِفُه السّائلون** ولا يَعرِفُه هو. وأيُّ خَطأٍ في وَصفٍ واحدٍ كان كافِياً لهَدمِ الدَّعوةِ في يَومِها. وقد اعتَرَفوا بصِحّةِ الوَصفِ ثمّ أعرَضوا – كما هي عادَتُهم مع كلِّ آية. وأمّا الشّاهِدُ الأقوى فهو **خَبَرُ العِير**: أخبَرَهم بقافِلَتِهم وأينَ هي ومَتى تَصِل، فانتَظَروا فوَجَدوها كما قال يومَ قال. شَهادةٌ مُستَقِلّةٌ تَحَقَّقَت بأيديهم هم لا بيَدِه.

١١١ مَصارِعُ القَتلى قبلَ المعركة

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

رواه مُسلِم – صحيح

مَواضِعُ مَرسومةٌ في الرَّملِ... وُجِدَت الجُثَثُ عليها

بكلامٍ بسيط

قبلَ مَعركةِ بَدرٍ بيَوم، مَشى النَّبيُّ ﷺ في أرضِ المَعركةِ يُشيرُ بيَدِه إلى مَواضِعَ في الأرضِ ويَقول: **هنا يُقتَلُ فُلان، وهنا يُقتَلُ فُلان**. فلمّا وَقَعَت المَعركةُ، لم يُجاوِز أحدٌ منهم المَوضِعَ الذي أشارَ إليه.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

بَدرٌ كانت أوّلَ مُواجَهةٍ كُبرى، والمُسلِمونَ ثَلاثُمِئةٍ ونَيِّف، والمُشرِكونَ نحوَ ألف. ولم يَكُن أحدٌ يَجزِمُ بمَن يَنتَصِرُ فَضلاً عن أن يُعَيِّنَ القَتلى بأسمائهم ومَواضِعِهم. وفي الحَربِ يَتَحَرَّكُ النّاسُ ويَكِرُّونَ ويَفِرُّون؛ فتَحديدُ **البُقعةِ التي يَسقُطُ فيها كلُّ رَجُل** أمرٌ لا يُقاسُ على شَيء.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الحَديثُ في **صحيحِ مُسلِم** عن أنَسِ بنِ مالِكٍ وعن عُمَرَ بنِ الخَطّاب. وفي رِوايةِ أنَس: «فجَعَلَ يَقول: هذا مَصرَعُ فُلانٍ غداً – ويَضَعُ يَدَه على الأرضِ ههنا وههنا. قال: **فما ماطَ أَحَدُهم عن مَوضِعِ يَدِ رَسولِ اللهِ ﷺ**». وثَبَتَ كذلك أنّه وَقَفَ على القَليبِ بعدَ المَعركةِ يُناديهم بأسمائهم: «يا فُلانَ بنَ فُلان، يا فُلانَ بنَ فُلان، هل وَجَدتم ما وَعَدَ رَبُّكم حَقّاً؟».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

النُّبوءةُ هنا **مُسَجَّلةٌ في الأرضِ نَفسِها قبلَ وُقوعِها**، ويَراها الجَيشُ كلُّه. وهي من أشَدِّ الأخبارِ قابِليّةً للتَّكذيب: يَكفي أن يَسقُطَ رَجُلٌ واحدٌ في غيرِ مَوضِعِه ليَبطُلَ الأمرُ أمامَ ثَلاثِمِئةٍ شاهِد. وقد جَمَعَت بين ثَلاثةِ أشياء: **تَعيينُ الأشخاصِ بأسمائهم**، و**الجَزمُ بمَقتَلِهم** أي بانتِصارِ الفِئةِ القَليلة، و**تَحديدُ البُقعةِ بالشِّبر**. ثَلاثةُ قُيودٍ في خَبَرٍ واحد، تَحَقَّقَت في اليومِ التّالي أمامَ عَينِ الجَيشَين.

١١٢

البَعيرُ الذي بَكى وشكا

فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ. فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ. فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ ... فَقَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ

رواه أبو داود – صحّحه الألبانيّ

مَشى البَعيرُ إليه وذَرَفَت عَيناه – بمَشهَدٍ من الصَّحابة

بكلامٍ بسيط

دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ حائطاً لرَجُلٍ من الأنصار، فجاءه بَعيرٌ **يَبكي**. فمَسَحَ رأسَه فسَكَن. ثمّ دَعا صاحِبَه وقال له: **«إنّه شَكا إليَّ أنّك تُجيعُه وتُتعِبُه»**.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الحَيَوانُ لا يَشتَكي ولا يُفهَمُ عنه. وعَلاقةُ الرَّجُلِ ببَعيرِه أمرٌ خاصٌّ بينه وبينه، لا يَعلَمُ أحدٌ كَيفَ يُعامِلُه في خَلوَتِه. فالخَبَرُ فيه أمرانِ معاً: **فَهمُ شَكوى الحَيَوانِ**، و**الاطّلاعُ على سِرٍّ لا يَعلَمُه إلّا صاحِبُه**.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الحَديثُ في سُنَنِ أبي داود ومُسنَدِ أحمدَ من حَديثِ عبدِ اللهِ بنِ جَعفَرٍ رَضيَ اللهُ عنهما، وصَحَّحَه الألبانيُّ وغيرُه. وله نَظائرُ ثابِتةٌ في الصِّحاح: كحَديثِ **الشّاةِ المَسمومةِ بخَيبَر** التي أخبَرَته أنّها مَسمومةٌ فامتَنَعَ وأنذَرَ أصحابَه (البُخاريُّ ومُسلِم)، و**حَديثِ الذِّئبِ الذي كَلَّمَ الرّاعي** وأخبَرَه بخُروجِ النَّبيِّ ﷺ (رواه أحمدُ وصُحِّح). ولم يَكُن العَرَبُ يَعرِفونَ من هذا شيئاً، بل استَعظَموه.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الأثَرُ العَمَليُّ للحادِثةِ هو ما يَجعَلُها ذاتَ دَلالة. فالنَّبيُّ ﷺ لم يَكتَفِ بإظهارِ الآية، بل حَوَّلَها إلى **تَشريعٍ في الرِّفقِ بالحَيَوان**: «أفلا تَتَّقي اللهَ في هذه البَهيمةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إيّاها؟». وهذا مُتَّسِقٌ مع بابٍ كامِلٍ في سُنَّتِه: النَّهيُ عن تَعذيبِ الحَيَوانِ وعن اتِّخاذِه غَرَضاً، وحَديثُ المرأةِ التي دَخَلَت النّارَ في هِرّةٍ حَبَسَتها، والرَّجُلِ الذي غُفِرَ له في كَلبٍ سَقاه. وأن يَجيءَ بهذا في القَرنِ السّابِعِ الميلاديِّ في بيئةٍ تَستَهينُ بالدَّوابّ – وقبلَ أوّلِ جَمعيّةٍ للرِّفقِ بالحَيَوانِ في العالَمِ بأكثَرَ من ألفِ سنة – دَلالةٌ أخرى.

الشّاةُ المسمومةُ أخبرته

أَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا ... فَأَخَذَ مِنْهَا مُضْغَةً فَلَمْ يُسِغْهَا وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ

رواه البُخاريُّ ومُسلِمٌ وأبو داود

امرأةٌ أرادَت اختِبارَه: إن كان نَبيّاً أُخبِر، وإن كان مَلِكاً استَرَحنا منه

بكلامٍ بسيط

أهدَت امرأةٌ يَهوديّةٌ للنَّبيِّ ﷺ شاةً مَشوِيّةً وَضَعَت فيها سُمّاً. فلمّا أخَذَ لُقمةً **لم يَبتَلِعها**، وقال: «إنّ هذه الذِّراعَ تُخبِرُني أنّها مَسمومة».

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان ذلك بعدَ فَتحِ خَيبَر، والعَداوةُ قائمةٌ ظاهِرة. والسُّمُّ إذا خُلِطَ بلَحمٍ مَشوِيٍّ لا يُدرَكُ بالنَّظَرِ ولا بالرّائحة.

والمرأةُ نَفسُها قالت حين سُئِلَت: أرَدتُ أن أعلَم – **«إن كان نَبيّاً فسَيُخبَر، وإن كان مَلِكاً استَرَحنا منه»**. أي أنّها صَمَّمَت الأمرَ ليَكونَ اختِباراً حاسِماً.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الحادِثةُ في **صحيحِ البُخاريِّ ومُسلِمٍ** وسُنَنِ أبي داود والدّارِميّ، من حَديثِ أنَسٍ وأبي هُرَيرةَ وجابِرٍ وابنِ عبّاسٍ وغيرِهم. وقد رُوِيَ فيها اعتِرافُ المرأةِ بنَفسِها ومَقصَدُها من الفِعل. ومات بشرُ بنُ البَراءِ رَضيَ اللّهُ عنه لأنّه ابتَلَعَ لُقمَتَه قبلَ التَّحذير – وهو تَفصيلٌ لا يُضيفُه مُختَلِقٌ لأنّه يُظهِرُ أنّ الآيةَ لم تَمنَع كلَّ ضَرَر.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

أهَمُّ ما في هذه الحادِثةِ أنّ **الخَصمَ هو الذي صَمَّمَ الاختِبار**، وأعلَنَ شَرطَه مُقَدَّماً: النُّبُوّةُ تُعرَفُ بأن يُخبَرَ بالسُّمّ. ثمّ وَقَعَ الشَّرطُ على وَجهِه، واعتَرَفَت هي بذلك أمامَ النّاس. ثمّ زادَ الأمرُ بُرهاناً: **أنّ النَّبيَّ ﷺ عَفا عنها** في أشهَرِ الرِّواياتِ – وهذا سُلوكُ واثِقٍ لا مُنتَقِمٍ خائف. والتَّفصيلُ الأخيرُ الذي يَحسِمُ صِدقَ النَّقلِ هو ذِكرُ **مَوتِ أحدِ الصَّحابة** بالسُّمّ: فالرِّوايةُ لم تُجَمِّل الحادِثةَ ولم تَجعَلها نَصراً تامّاً، بل نَقَلَتها بحُلوِها ومُرِّها.

١١٤

مَطَرٌ نَزَلَ على الطَّلَبِ ثمّ تَوَقَّفَ على الطَّلَب

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ... فَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ ... فَمَا وَضَعَ يَدَهُ حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ حَتَّى سَالَ الْمَطَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

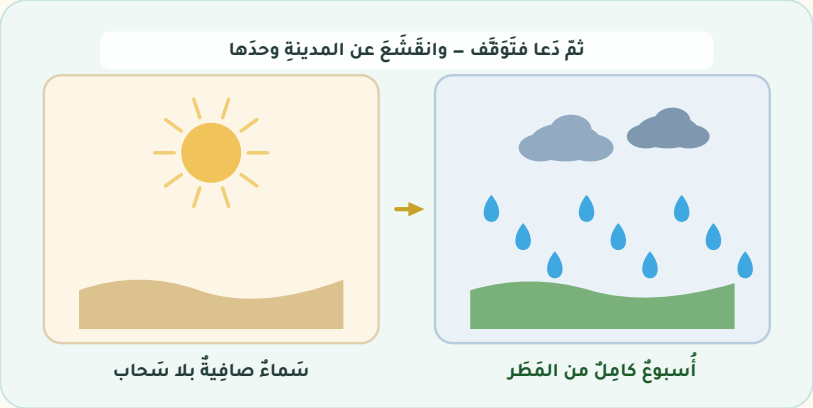

المَدينةُ تَحتَ الشَّمسِ وما حَولَها يُمطِر – كما وَصَفَ أنَس

بكلامٍ بسيط

جاء رَجُلٌ يَشكو الجَدْبَ في خُطبةِ الجُمُعة، فرَفَعَ النَّبيُّ ﷺ يَدَيه ودَعا – **والسَّماءُ صافِيةٌ لا سَحابَ فيها**. فما أنزَلَ يَدَه حتّى ثارَ السَّحاب، وأمطَرَت أُسبوعاً كامِلاً حتّى شَكَوا كَثرةَ المَطَر، فدَعا فتَوَقَّف.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الاستِسقاءُ عادةٌ قَديمةٌ عند الأُمَم، لكنّها دُعاءٌ يُرجى لا وَعدٌ يُنجَز. والمَطَرُ لا يَنزِلُ من سَماءٍ صافِيةٍ في لَحظات. وأن يَقَعَ ذلك **مَرَّتَين مُتَقابِلَتَين** – نُزولاً على الطَّلَبِ ثمّ انقِطاعاً على الطَّلَب – يَخرُجُ عن كلِّ احتِمالِ المُصادَفة.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

الحَديثُ في **الصَّحيحَين** من حَديثِ أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضيَ اللّهُ عنه. ووَصَفَ أنَسٌ المَشهَدَ بدِقّةٍ لافِتة: أنّ السَّماءَ كانت صافِيةً تماماً، وأنّ السَّحابَ ثارَ «أمثالَ الجِبال»، وأنّ المَطَرَ دامَ إلى الجُمُعةِ التّالية. ثمّ لمّا دَعا برَفعِه قال أنَس: **«فانقَطَعَت، وخَرَجنا نَمشي في الشَّمس»**، وفي رِواية: «فانجابَت عن المدينةِ انجِيابَ الثَّوب» – أي أنّ المَطَرَ انحَسَرَ عن المدينةِ **وحدَها** وبَقِيَ حَولَها.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التَّفصيلُ الأخيرُ هو أقوى ما في الخَبَر. فنُزولُ المَطَرِ بعدَ دُعاءٍ قد يُقالُ فيه: صادَفَ مَوسِمَه. لكنّ **انحِسارَه عن المدينةِ وحدَها مع بَقائه على ما حَولَها** ظاهِرةٌ لا تُفَسَّرُ بالصُّدفة، ويَراها أهلُ المدينةِ جَميعاً بأعيُنِهم في يومٍ واحد. ولاحِظ صِيغةَ الدُّعاءِ الثّانية، فهي في غايةِ الدِّقّة: «**اللّهُمَّ حَوالَينا ولا عَلَينا**» – لم يَطلُب رَفعَ المَطَرِ مُطلَقاً، بل صَرْفَه عن المدينةِ إلى ما حَولَها لأنّ النّاسَ يَحتاجونَه. فوَقَعَ على وَجهِه الدَّقيقِ الذي دَعا به.

١١٥

عَينُ عَليٍّ... وعَينُ قَتادة

فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

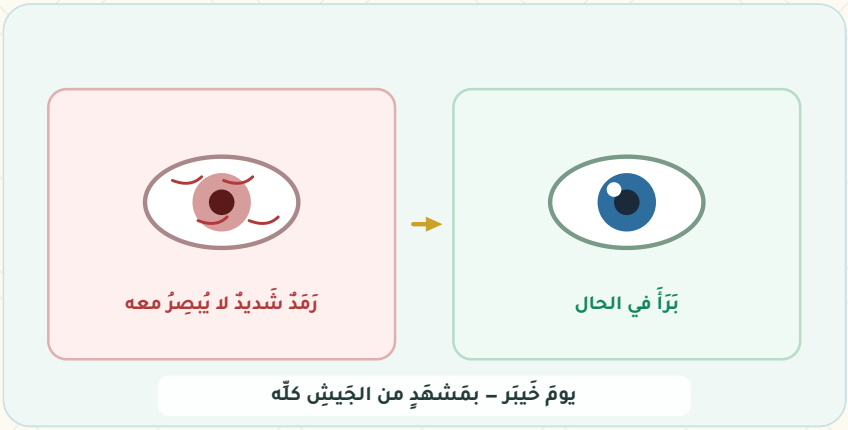

عَليٌّ كان أرمَدَ لا يَكادُ يُبصِر، فدُفِعَت إليه الرّايةُ بعدَ لَحَظات

بكلامٍ بسيط

يومَ خَيبَر قال النَّبيُّ ﷺ: **لأُعطِيَنَّ الرّايةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللّهَ ورَسولَه**. فطَلَبَ عَليّاً – وكان مَريضَ العَينَين لا يُبصِر – **فبَصَقَ في عَينَيه فبَرَأَ في الحال**، ثمّ فُتِحَت خَيبَرُ على يَدِه.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الرَّمَدُ مَرَضٌ مَعروفٌ في تلك البيئة، ولا عِلاجَ له إلّا الصَّبرُ والأيّام. ولا يُشفى في لَحَظات. وكانت الحادِثةُ في مَوقِفٍ عَسكَريٍّ حَرِج، والجَيشُ مُنتَظِرٌ مُتَشَوِّفٌ لمَعرِفةِ صاحِبِ الرّاية – قال عُمَر: «ما أحبَبتُ الإمارةَ إلّا يومَئذ».

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

الحَديثُ في **الصَّحيحَين** من حَديثِ سَهلِ بنِ سَعدٍ وأبي هُرَيرةَ وسَلَمةَ بنِ الأكوَع. ونَظيرُه ما ثَبَتَ في **عَينِ قَتادةَ بنِ النُّعمان** رَضيَ اللّهُ عنه يومَ أُحُدٍ – أُصيبَت عَينُه حتّى سالَت على وَجنَتِه، فرَدَّها النَّبيُّ ﷺ بيَدِه ودَعا له، فكانت أحسَنَ عَينَيه وأحَدَّهما بَصَراً. وقد بَقِيَ ذلك مَعروفاً في ذُرِّيَّتِه حتّى ذَكَرَه حَفيدُه للخَليفةِ عُمَرَ بنِ عبدِ العَزيز.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

ما يُخرِجُ هذه الحادِثةَ من دائرةِ الدَّعوى أمران. الأوّل: أنّها وَقَعَت أمامَ **جَيشٍ كامِلٍ في وَقتِ تَعبِئة**، والأنظارُ كلُّها إلى صاحِبِ الرّاية. الثّاني – وهو الأهَمّ – أنّ الشِّفاءَ لم يَكُن غايةً في نَفسِه، بل **شَرطاً لأداءِ مُهِمّة**: فقد سَلَّمَه الرّايةَ فوراً وخَرَجَ يُقاتِل، وفُتِحَ الحِصنُ على يَدِه في ذلك اليومِ نفسِه. فلو لم يَبرَأ حَقيقةً لظَهَرَ الأمرُ في ساعَتِه. وأمّا عَينُ قَتادةَ فبَقِيَ أثَرُها **مَشهوداً عَشَراتِ السِّنين** – عَلامةٌ يَراها النّاسُ في وَجهِ الرَّجُلِ طَوالَ عُمُرِه، لا خَبَرٌ يُروى.

١١٦

سُراقةُ وفَرَسُه التي ساخَت في الأرض

فَبَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى فَرَسِي ... عَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا ... ثُمَّ رَكِبْتُ فَرَسِي، فَلَمَّا بَدَا لِي الْقَوْمُ سَاخَتْ يَدَاهَا فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ

رواه البُخاريّ – صحيح

طارِدٌ خَرَجَ طَمَعاً في مئةِ ناقةٍ... فعادَ يَطلُبُ الأمان

بكلامٍ بسيط

خَرَجَ سُراقةُ يُطارِدُ النَّبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ في الهِجرة. فكُلَّما اقتَرَبَ منهما **غاصَت قَوائمُ فَرَسِه في الأرضِ الصُّلبة** حتّى بَلَغَت رُكبَتَيها. فعَرَفَ أنّه ممنوع، فطَلَبَ منهما الأمان.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت قُرَيشٌ قد جَعَلَت مئةَ ناقةٍ لمن يَأتي بمُحَمَّدٍ ﷺ حَيّاً أو مَيِّتاً. وسُراقةُ فارِسٌ ماهِرٌ مُتَمَرِّسٌ من بَني مُدلِجٍ أهلِ القِيافةِ وتَتَبُّعِ الأثَر. وكان المَشهَدُ في صَحراءٍ مَفتوحةٍ لا مَهرَبَ فيها، والرَّجُلانِ بلا حِماية.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

القِصّةُ بتَفاصيلِها في **صحيحِ البُخاريّ**، في حَديثِ الهِجرةِ الطَّويلِ عن عائشةَ وأبي بكر، و**يَرويها سُراقةُ نَفسُه** بعدَ إسلامِه. وذَكَرَ أنّه ساخَت به الفَرَسُ مِراراً، وأنّه استَخارَ بالأزلامِ فخَرَجَ ما يَكرَه فعَصاه، ثمّ لمّا يَئِسَ نادى بالأمانِ وعَرَضَ عليهما الزّادَ والمَتاع. وكَتَبَ له النَّبيُّ ﷺ كِتابَ أمان، فجاء به يومَ فَتحِ مكّة. وفي تلك اللَّحظةِ قال له ﷺ: «كيف بكَ إذا لَبِستَ سِوارَي كِسرى؟» – وقد لَبِسَهما بعدُ.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

أقوى ما في الخَبَرِ أنّ **راوِيَه هو الخَصمُ نَفسُه**. فسُراقةُ لم يَكُن مُسلِماً يومَ الحادِثة، بل كان المُطارِدَ الطّامِعَ في الجائزة. ثمّ أسلَمَ بعدَها بسِنين وحَدَّثَ النّاسَ بما جَرى له. وشَهادةُ الخَصمِ على نَفسِه بالفَشَلِ وبما رأى، من أعلى دَرَجاتِ الإثباتِ عند أهلِ النَّقل. ولاحِظ التَّفصيلَ الغَريبَ الذي لا يُختَلَق: أنّه **ساخَ مَرّاتٍ لا مَرّةً واحدة**، وأنّه في كلِّ مَرّةٍ كان يُعاوِدُ الطَّلَب، حتّى يَئِسَ أخيراً. ومُطارِدٌ يَختَلِقُ قِصّةً لن يَرويَها بهذا الإصرارِ المُتَكَرِّرِ على مُحاوَلةِ القَتل.

١١٧ سَلمانُ الفارِسيُّ والعَلاماتُ الثَّلاث

وَوَصَفَ لِي صِفَتَهُ: لَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ

رواه أحمدُ وابنُ حِبّان – حَسَنُ الإسناد

ثَلاثُ عَلاماتٍ اختَبَرَها بنَفسِه

- قَدَّمَ له صَدَقةً... فلم يَأكُل
- قَدَّمَ له هَدِيّةً... فأكَلَ معهم
- نَظَرَ ظَهرَه فرأى خاتَمَ النُّبُوّة

فأسلَمَ في مَجلِسِه

رَجُلٌ قَطَعَ فارِسَ والشّامَ بَحثاً عن هذه الأوصافِ الثّلاثة

عَلاماتٌ سَمِعَها من راهِبٍ نَصرانيٍّ قبلَ البِعثة... فوَجَدَها

بكلامٍ بسيط

سَلمانُ الفارِسيُّ تَرَكَ دِينَ قَومِه وطافَ البِلادَ بَحثاً عن الحَقّ، حتّى أوصاه راهِبٌ بثَلاثِ عَلاماتٍ للنَّبيِّ المُنتَظَر. فلمّا وَصَلَ المدينةَ **اختَبَرَ العَلاماتِ الثَّلاثَ بنَفسِه فوَجَدَها** – فأسلَم.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان أهلُ الكِتابِ في الشّامِ وغيرِها يَنتَظِرونَ نَبيّاً مَبعوثاً في أرضِ العَرَب، ويَتَوارَثونَ عَلاماتِه. وسَلمانُ خَرَجَ من بِلادِ فارِسَ وتَنَقَّلَ بين الرُّهبانِ سِنينَ طَويلة، حتّى بِيعَ عَبداً ووَصَلَ المدينةَ – قبلَ الهِجرةِ بسِنين.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

القِصّةُ يَرويها سَلمانُ بنَفسِه في مُسنَدِ أحمدَ وصَحيحِ ابنِ حِبّانَ وسيرةِ ابنِ إسحاق. وفيها أنّه جاء بتَمرٍ وقال: هذه صَدَقة. فقال النَّبيُّ ﷺ لأصحابِه: «كُلوا» ولم يَأكُل. ثمّ جاء بتَمرٍ آخَرَ وقال: هذه هَدِيّة. فأكَلَ معهم. ثمّ دارَ خَلفَ ظَهرِه يَنظُر، فعَرَفَ النَّبيُّ ﷺ ما يُريدُ فألقى رِداءَه عن ظَهرِه، فرأى الخاتَم، فأكَبَّ عليه يُقَبِّلُه ويَبكي.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

هذه ليست مُعجِزةً كَونيّة، بل **اختِبارٌ عِلميٌّ مُنَظَّم** بكلِّ مَعنى الكَلِمة: فَرَضِيّاتٌ مُحَدَّدةٌ سَلَفاً، وتَجرِبةٌ لكلِّ واحدةٍ منها، ونَتيجةٌ تُقبَلُ أو تُرَدّ. وسَلمانُ لم يُسلِم لمَنطِقٍ ولا لعاطِفة، بل بَعدَ أن **تَحَقَّقَت الشُّروطُ الثَّلاثةُ كلُّها**. وأدَقُّ ما فيها العَلامةُ الثّانية: التَّفريقُ بين **الصَّدَقةِ والهَدِيّة** – وهو حُكمٌ شَرعيٌّ خاصٌّ بالنَّبيِّ ﷺ (الصَّدَقةُ مُحَرَّمةٌ عليه، والهَدِيّةُ حَلال)، ولا يُمكِنُ أن يُصيبَه أحدٌ بالحَدس. وقد وَرَدَ في عِدّةِ رِواياتٍ أنّ رُهباناً وأحباراً كانوا يَصِفونَ هذه العَلاماتِ قبلَ البِعثة – منهم بَحيرى الرّاهِب، وزَيدُ بنُ عَمرِو بنِ نُفَيل، وعبدُ اللّهِ بنُ سَلام.

١١٨

دَعا لأنَسٍ... فصارَ أكثَرَ الأنصارِ مالاً وولَداً

اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ. قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللَّهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ الْيَوْمَ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

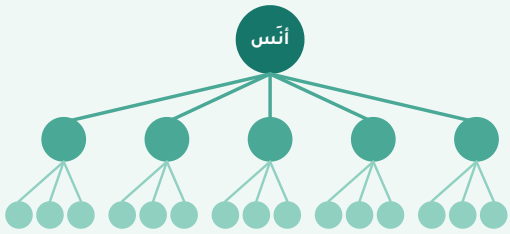

«ووَلَدي ووَلَدُ وَلَدي يَتَعادُّونَ على نَحوِ المِئةِ اليوم»
وعاشَ نَحوَ مِئةِ سنة – آخِرَ الصَّحابةِ مَوتاً بالبَصرة

دَعوةٌ في بَيتٍ فَقيرٍ.. شَهِدَ صاحِبُها تَحَقُّقَها بنَفسِه طَوالَ عُمُرِه

بكلامٍ بسيط

دَعَت أُمُّ سُلَيمٍ للنَّبيِّ ﷺ أن يَدعُوَ لابنِها أنَس، فدَعا له بـ**كَثرةِ المالِ والوَلَدِ والبَرَكة**. وعاشَ أنَسٌ حتّى رأى ذلك كلَّه بعَينِه وحَدَّثَ به النّاس.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

أنَسٌ يومَئذٍ غُلامٌ صَغيرٌ في العاشِرة، خَدَمَ النَّبيَّ ﷺ عَشرَ سِنين. وأُسرَتُه ليست من أغنى الأنصارِ ولا أكثَرِهم عَدَداً. والدُّعاءُ اشتَمَلَ على **ثَلاثةِ أشياءَ مُحَدَّدة** قابِلةٍ للقياسِ بعدَ عُمُر: المال، والوَلَد، والبَرَكةُ فيهما.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الحَديثُ في **الصَّحيحَين**. وأنَسٌ نَفسُه هو الذي يَروي تَحَقُّقَه بعدَ عَشَراتِ السِّنين، يُقسِمُ بالله: «إنّ مالي لَكَثير، وإنّ وَلَدي ووَلَدَ وَلَدي لَيَتَعادُّونَ على نَحوِ المِئةِ اليوم». وفي رِوايةٍ أنّه دُفِنَ له قبلَ مَقدَمِ الحَجّاجِ البَصرةَ نَحوُ مِئةٍ وعِشرين من وَلَدِه. وكان بُستانُه يُثمِرُ في السَّنةِ مَرَّتَين. وعاشَ نَحوَ مِئةِ سنة، وهو **آخِرُ من ماتَ من الصَّحابةِ بالبَصرة**.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

هذا نَوعٌ مُختَلِفٌ من الدَّليل: **نُبوءةٌ يَشهَدُ صاحِبُها تَحَقُّقَها بنَفسِه ويُحَدِّثُ بها**. فالرّاوي هو المُنتَفِعُ وهو الشّاهِد، ويُحَدِّثُ بها في البَصرةِ وحَولَه آلافٌ يَعرِفونَ حالَه، ويَرَونَ وَلَدَه ووَلَدَ وَلَدِه ومالَه. ولو كان مُبالِغاً لرَدَّ عليه أهلُ بَلَدِه. ونَظائرُ هذا كَثيرةٌ وثابِتة: دُعاؤه لابنِ عبّاسٍ بالفِقهِ وتَأويلِ القرآنِ فصارَ «حَبرَ الأُمّة»؛ ودُعاؤه لسَعدِ بنِ أبي وَقّاصٍ بإجابةِ الدَّعوةِ فكان مُستَجابَ الدَّعوةِ يُتَّقى دُعاؤه؛ ودُعاؤه على من أكَلَ بشِمالِه تَكَبُّراً فما استَطاعَ أن يَرفَعَها إلى فيه. أخبارٌ مُتَفَرِّقةٌ عن أشخاصٍ مُتَفَرِّقين، كلٌّ منها قابِلٌ للتَّكذيبِ بمُفرَدِه.

١١٩ تَسبيحُ الطَّعامِ بين يَدَيه

كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ

رواه البُخاريّ – صحيح

كانوا يَعُدُّونَ هذه الآياتِ بَرَكةً لا تَخويفاً

بكلامٍ بسيط

قال ابنُ مَسعودٍ رَضيَ اللهُ عنه: **«كُنّا نَسمَعُ تَسبيحَ الطَّعامِ وهو يُؤكَل»** – أي أنّهم كانوا يَسمَعونَ صَوتَ تَسبيحٍ يَخرُجُ من الطَّعامِ بين يَدَي النَّبيِّ ﷺ.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الجَمادُ لا صَوتَ له. والطَّعامُ يُؤكَلُ في صَمت. وأن يُسمَعَ منه تَسبيحٌ أمرٌ لا مِثالَ له في تَجرِبةِ أحد. ولم يُنقَل مِثلُ هذا عن غيرِ النَّبيِّ ﷺ.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

الأثَرُ في **صحيحِ البُخاريّ** في «بابِ عَلاماتِ النُّبُوّةِ في الإسلام». ويَرويه عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ بصيغةِ الجَمع: «**كُنّا نَسمَع**» – أي أنّها مُشاهَدةٌ جَماعيّةٌ مُتَكَرِّرة، لا حادِثةٌ فَرديّةٌ واحدة. ونَظيرُه ما ثَبَتَ من **تَسبيحِ الحَصى** في كَفِّه، ومن سَلامِ الحَجَرِ عليه بمكّة، كما في صحيحِ مُسلِمٍ من حَديثِ جابِرِ بنِ سَمُرة: «إنّي لأعرِفُ حَجَراً بمكّةَ كان يُسَلِّمُ عليَّ قبلَ أن أُبعَث، إنّي لأعرِفُه الآن».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

صِيغةُ الجَمعِ والاستِمرار هي مَوضِعُ القُوّة: «**كُنّا نَسمَع**». فلَو كانت مَرّةً واحدةً لقيلَ «سَمِعنا». أمّا «كُنّا» فتُفيدُ التَّكرارَ والاعتِيادَ – أي أنّها كانت أمراً مَألوفاً عندهم يَعرِفُه الجَماعة. ومِثلُ هذا لا يُختَلَقُ في وَسَطٍ فيه مِئاتُ الشُّهودِ الأحياء. والقرآنُ يُقَرِّرُ الأصلَ العامَّ لهذا الباب: «**وإن مِن شَيءٍ إلّا يُسَبِّحُ بحَمدِه ولٰكِن لا تَفقَهونَ تَسبيحَهم**» – فالتَّسبيحُ قائمٌ في كلِّ شَيء، والذي وَقَعَ في حَضرَةِ النَّبيِّ ﷺ هو **كَشفُ الحِجابِ عن سَماعِه**، لا إحداثُ شَيءٍ جَديد.

١٢٠

فُتِحَت خَيبَرُ... ونَجا من الحَديدِ في أُحُد

وَاللَّهِ لَا يَخْلُصُونَ إِلَيْكَ حَتَّى أَمُوتَ دُونَكَ ... وَقَالَ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ

رواه البُخاريّ – صحيح

انقِلابُ المُبادَرةِ الكامِلُ... أُعلِنَ قبلَ أن يَقَع

بكلامٍ بسيط

بعدَ أن انصَرَفَت جُيوشُ الأحزابِ عن المدينة، قال النَّبيُّ ﷺ: **«الآنَ نَغزوهم ولا يَغزونَنا، نحن نَسيرُ إليهم»**.
ومن ذلك اليومِ لم تَغزُ قُرَيشٌ المدينةَ أبداً.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان الحِصارُ في الخَندَقِ أشَدَّ ما مَرَّ على المُسلِمين. عَشَرةُ آلافِ مُقاتِلٍ حَولَ المدينة، ويَهودُ بَني قُرَيظةَ نَقَضوا العَهدَ من الدّاخِل، والجُوعُ والبَردُ والخَوف. يَقولُ القرآن: «**وبَلَغَتِ القُلوبُ الحَناجِرَ وتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنونا**».
وفي تلك اللَّحظةِ بالذّاتِ يُعلَنُ انقِلابُ المُبادَرة.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

والحَديثُ في **صحيحِ البُخاريّ**. وقد وَقَعَ كما قال حَرفاً: بعدَ الخَندَقِ (٥ هـ) لم تَخرُج قُرَيشٌ إلى المدينةِ غازِيةً قَطّ. بل صارَ المُسلِمونَ هم المُبادِرين: الحُدَيبِيَةُ ٦ هـ، ثمّ خَيبَرُ ٧ هـ، ثمّ فَتحُ مكّةَ ٨ هـ، ثمّ حُنَينٌ وتَبوك. وهذه حَقيقةٌ عَسكَريّةٌ مُتَّفَقٌ عليها في كُتُبِ السِّيرةِ والتّاريخِ كلِّها.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

هذا خَبَرٌ **استِراتيجيٌّ لا رُوحيّ**، وهو ما يَجعَلُه قابِلاً للفَحصِ التّاريخيِّ البَحت. وقد صَدَرَ في **أسوأِ لَحظةٍ مُمكِنةٍ** – أي حين كانت كلُّ القَرائنِ تَقولُ بالعَكس. والقاعِدةُ المَعروفةُ أنّ من نَجا من حِصارٍ خانِقٍ يَنشَغِلُ بتَرميمِ حالِه لا بالهُجوم. ولاحِظ صِياغةَ الحَديث: لم يَقُل «سنَنتَصِر» – وهذا كَلامٌ عامّ يَحتَمِلُ كلَّ شَيء – بل حَدَّدَ **انتِقالَ زِمامِ المُبادَرة**: «نَحنُ نَسيرُ إليهم». وهذا وَصفٌ دَقيقٌ لِما جَرى فِعلاً في السَّنَواتِ الثَّلاثِ التّالية: كلُّ الحَملاتِ بعدَها كانت خارِجةً من المدينةِ لا قادِمةً إليها.

١٢١ لماذا نَثِقُ بهذه الأخبار؟

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

سورة الحُجُرات – الآية ٦

مَعاييرُ قَبولِ الخَبَرِ عند المُحَدِّثين

- سَنَدٌ مُتَّصِلٌ يُسَمّي فيه كلُّ راوٍ باسمِه
- عَدالةُ كلِّ راوٍ وضَبطُه – وله تَرجَمةٌ مُدَوَّنة
- خُلُوُّ الخَبَرِ من الشُّذوذِ والعِلّةِ الخَفِيّة
- مُوافَقةُ الثِّقاتِ بعضِهم بعضاً في اللَّفظِ والمَعنى

عِلمٌ لا نَظيرَ له في أيِّ أُمّةٍ أُخرى

عِلمُ الجَرحِ والتَّعديل: سِيَرُ مِئاتِ الآلافِ من الرُّواةِ مُدَوَّنةٌ ومَفحوصة

بكلامٍ بسيط

هذه الأخبارُ لم تَصِل إلينا حِكاياتٍ يَتَناقَلُها النّاس. وَصَلَت عبرَ **نِظامٍ تَوثيقيٍّ مُحكَم**: كلُّ خَبَرٍ له سِلسِلةُ رُواةٍ مُسَمَّينَ بأسمائهم، وكلُّ راوٍ له تَرجَمةٌ مَكتوبةٌ تُفَتِّشُ في صِدقِه وحِفظِه.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الأُمَمُ قبلَ الإسلامِ كانت تَنقُلُ أخبارَ أنبيائها بلا أسانيد. فلا يُعرَفُ مَن نَقَلَ عن مَن، ولا مَتى دُوِّنَت، ولا هل كان النّاقِلُ ثِقةً أم لا. ولهذا اختَلَطَ في كُتُبِ الأُمَمِ الصَّحيحُ بالمَوضوع، والتّاريخُ بالأُسطورة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

ابتَكَرَ المُسلِمونَ **عِلمَ الإسناد** و**عِلمَ الجَرحِ والتَّعديل**، فدَوَّنوا تَراجِمَ مِئاتِ الآلافِ من الرُّواة: مَولِدَ كلِّ واحدٍ ووَفاتَه وشُيوخَه وتَلاميذَه ورِحلاتِه وحالَ حِفظِه، وهل اختَلَطَ في آخِرِ عُمُرِه، وهل تُوبِعَ على ما رَوى. وكُتُبُ الرِّجالِ – كتَهذيبِ الكَمالِ وميزانِ الاعتِدالِ – مَوسوعاتٌ ضَخمةٌ في ذلك. وقد قال المُستَشرِقُ الألمانيُّ شبرنجر إنّ المُسلِمينَ أنتَجوا عِلمَ تَراجِمَ لم تَعرِف الأُمَمُ الأُخرى له نَظيراً.

لماذا هذا معجزةٌ قاطعة؟

لاحِظ أنّ الأخبارَ التي في هذا البابِ تَجتَمِعُ فيها خَصائصُ يَصعُبُ تَجاوُزُها: **وُقوعُها أمامَ أعدادٍ كَبيرةٍ من الشُّهود** – ألفٌ في الخَندَق، وثَلاثُمِئةٍ في بَدر، ومَسجِدٌ كامِلٌ في حَديثِ الجِذع؛ و**رِواياتُها من طُرُقٍ مُتَعَدِّدةٍ مُستَقِلّة** عن صَحابةٍ لم يَجتَمِعوا على وَضعِها؛ و**تَضَمُّنُها لِما لا يُجَمِّل** – كمَوتِ صَحابيٍّ بالسُّمّ، وخَوفِ جابِرٍ من قِلّةِ الطَّعام؛ و**سُكوتُ الخُصومِ عن تَكذيبِها** وهم أحرَصُ النّاسِ على ذلك. ولا يُعرَفُ في تاريخِ البَشَرِ رَجُلٌ نُقِلَت أخبارُه وأقوالُه وأفعالُه بمِثلِ هذه الدِّقّةِ والتَّفصيل.